وجوه ليلى
أسماء ليلى

عبد القادر صالح

ارتجلوا اسم ليلى قصيدة
واسلموا للوحدة مقاعدكم
وللهجران حبيباتكم
واغتربوا في محيط سابغ
مياهه دم ليلى ... وشطآنه جدائلها
وآفاقه جلدها ، وهي أرضه وسماؤه
وسيروا في بادية اسمها التعب
وحدودها اجفان ليلى
ولحمها المتناثر تكوم كثبان رمال
وأنتظركم على حافة الحزن
وأكمن في منحنيات الوحشة
وحبيبتي ليلى تبحث عني
وأنا بجديلتها مصفد على حافة حربة اسمها فلسطين
وأتحرك على نشار لحمي
وباسمها تلك الضالة المضلة أقرأ السورة
وحروف اسمها الفاتحة والكتاب

* * *

خارج من سطور عينيك لي الجسد المزهر درب
وأرسم كفيك على قلبي هوية وبلادا
أدعيك لذاكرتي مرفأ ، لسمائي امتدادا
وأرحل في مدن سطرتها يداك
لكي لا أداجي رؤاك
وحين أحن اليك أثوب الى دارة في فؤادي
وأحمل للرحلة المستديمة ذكراك زادا

* * *

وليلى يمازجني فصلها المتغير
أنمو على فخذها زهرة في ربيع قصير
وأهبط في لحمها المتماوج في غرة الشمس
أهبط منتعلا شهوتي في مدائنها الشتوية
تفجؤني بخريف الحقول التي لم يجف الندى الرطب عن قمحها
شارة أنني لست فاتحها الاولا
وليلى تساورني بتثاقلها مثل هم ثقيل
فأطلق هذي الجراء الجياع التي نبحت في عروقي على لحمها الغض
.. ليلى تنفض عن ثوبها لعقات الكلاب وترمقني ببرود
ترى هل تحن لفاتحها المتقدم خلف السنين ؟ وهل تتذكر فاتحها الاولا
ولكزت حصان التشهي على جسمها المتماوج كالبحر
وانسبت في موجها ، أسفلا ، أسفلا

ان ليلى التي ارتعشت في اناء الحديقة
وردة .. وارتمت كالحقيقة
بضة مصطفاة
ان ليلى .. فآه
كنت أخرج من وطني فارسا لاعود
حجرا في ركام الحدود ..
الحدود ..
الحدود ..

حلقة في القيود
كنت أحمل قنبلتي وأقاتل منتحرا
وأسافر معتذرا
عن زراعة حنونة في تراب بلادي
فكيف طلعت عليّ مفاجأة سلبتني اعتدادي
كيف الفيت هذي المسافة بيني وبيني
وكيف اعتذرت عن القاعدة
وصنعت من الخارطة
افة ساقطة
في امتداد البلاد التي اسمها واحدة
آه ليلى
وآه فلسطين من منكم الثانية
من رمتني بأدوائها واصطفتني جوادا
وكنت أراها بلادا

* * *

وليلى المطهرة البكر سارت على جسدي مرة
وتخيلتها اغتسلت بمياهي ، وحطت على كتفي طائرا عذبته المنافي
وأحسبها انبثقت من رمال الصحارى
أو انعتقت من قيود القوافي
وأقول هي الخارطة
للجذور مساراتها هابطة
وأقول تغادرني ومواجعها في فؤادي
فآه .. لقد قيدتني بأدوائها
وانا ساقط في حنيني
تبعثرني في بحار دمي زهرة نبتت في اناء من الرمل
اقذفها بمحيط تجمد في دارة بفؤادي
وأقول هي الابدية

* * *

وليلى مظاهرة ضد قيد المخيم
ليلى انتفاض الجياع وليلى احتدام الصراع
لها شامخات القلاع وللحاكم المستبد القناع

لليلى زهور البنفسج في حدقات الصغار
لليلى اعتداد الفدائي .. صبر المخيم .. أسماؤها البكر ، طلعتها الآسرة
باسمها أتهجى فيا رب زدني بها سعة واتخذني لاحزانها ذاكرة
ولليلى غدها الملحاح ، اعني طفلها المراح
اما اقتعدت مطرحها اذ تجلس النسوة في الطابون
يخبزن رغيفا يطفيء الجوع
وخبزا ناضجا بالشوق
يخبزن قلوبا فوق جمر البعد
ليلى لا ترى من طفلها الصاخب
الا المدفع الرشاش ، والقنبلة الملساء مثل القرقعة
عندما تقطع راس البصل الغض فيجري الدمع في المقلة
لا تذكر الا طفلها الباكي ولا تبصر الا مدفعه
عندما تقطع أزهار البنفسج
تذكر الفم الذي قبل ثدييها كثيرا وتوهج
هذه ليلى التي أعرفها
فاذكروا أسماءها
واذكروا أن رمال الشط في حيفا وعكا وجهها .. مصحفها

* * *

كيف ضمتها زهور الياسمين
كيف ما ضاقت على ذاكرة الورد الحواكير ، ولم يقس على الكرم النواطير
وكيف اتسعت كي تحضن العذراء في محرابها الغافي جنين
منتهى ترتجل الزغرودة الاولى ويجري دمها الشاخب حناء على الشارع
في قمته العرس فلا تمشوا على جثتها
واضفروا تاجا من الدفلى لها وارتجلوا الاغنية الاولي
وسيروا في مساء داكن يجتاحه العرس ولا تقتضه الشمس
ولا تفضحه بيارة حبلى
.. استعيدوا المدفع الرشاش في ميلادها الثاني
وهذا دمها الحنّاء لا يخضب الا كفّ من يعشقها
قلت ومن يعشقها يدمي جنون الياسمين
منتهى قامت الى منديلها الناصع ، وافتضّت سماء الوطن الضائع
واجتاحت محيط الحلم اللاذع كي تصنع من رقعته أحلامها البيضاء

أعني ثوبها العاري أعني الكفن الناري أعني العلم
الممنوع
أعني راية لفلسطين التي تنجب وردا ونخيلا وعشيقات
وعشاقا
يعيدون جنون العرس يوميا ، يقيمون احتفال الموت
ليليا
... وهذي منتهى
آه كيف اتسعت كي تحضن العذراء في محرابها الغافي،
جنين

* * *

ما تغربت في أرض ليلى سنونوة هاضها التيه
ما حاصرتني بذاكرة الموت ليلى ولم أرمها بفؤادي
ولم أستتر من مواجعها برماد السنين
ولكنها هبطت في دمي استعرت في الحشاشة
فارتعشت على عشبها كالفراشة
واتخذنا مجنزرة في جنين فراشة لفرحتنا
وقطفت عن الصدر رمانتين ... زرعت على الصدر
قنبلتين
واحسست معركة في يدي تحاورني ، لا فتاة
تخاصرني
وانطلقنا على شارع في جنين نبعثر اسم فلسطين
فاء ولاما وطاء ونونا وسينا ونجمعها ثانية
وأرشق دبابة الغاصبين على صدرها زهرة وأداعب
قنبلة لاهية
منتهى ركضت باتجاه مجنزرة ثم راحت تحاورها
كان زهر السرور على وجنتيها يطل ويرشح من سالفيها
التعب
هتفت بأسمائها وكناها استريحي ، تمرد في قدميك
القصب
ودعيني أقدم مجنزرة الغاصبين لصدرك لؤلؤة ...
ـ ... آه ليلى ... وفار على الشارع الدم فار اللهب

* * *

دمك دلال انسرب
جمرات شفافة
هطلت سيول الذهب
عالشارع الغافي
وصحيت حروف الغضب
حمرا على شفافي
دمك دلال انهمر
وانساب يجري نهر
يقذف هجوع الفضا
بغيوم طوافة
تغمر جفاف الرضى
في قلوب نامت دهر
عاحلمها الغافي
لو يوم يطلع قمر
في ليلها الصافي
امشي عشط الزمن
ايدي لخصرك سند
صدري لتيهك بلد
قلبي لحزنك وطن
دلال لا تبعدي
دربك لحيفا ندي
لا تمشي في الساعات
دربك عشط الزمن

* * *

يا دلال احترق الشاطىء وامتدت على حيفا مرايا
ورق ، تحمل شكل الوجع النازف من
رشاشك المقهور
أشتاتا من الطير يمر الناس ، منسابين كالاسماك ،
مفجوئين كيف امتشقت عصفورة شمسا
وكيف اتخذت ريحانة غصنا ينث الموت
والشاطيء لاه عن دلال المغربي
خدرته اللغة الاخرى وأغرته لهاثات المحبين الذين
التحفوا الرمل
وناموا في الزمان العربي
يا دلال امتشق الوقت صليبا ذهبيا
هل مسيح قادم أم لحظة حبلى بأصوات السنين
انفجرت كالقنبلة
أم جنون القتلة
أيقظ التاريخ وافتض بكارات الشموس الغافلة
يا دلال امتشق الحزن سوارا عربيا
هل لهذا القيد في أقبية التعذيب أنماط تفل الكبد
المقروحة
القلب الفتي الزمن البكر ، وآفاق القتيل
وهل الدرب الى حيفا الزمان المستحيل
ودلال النخلة الغرقى الى حالتها الاولى الى الارض
البتول

لم تعش « جفرا » على حلم هو الكذبة
جفرا انتحرت في الشمس فانداحت عصافير من الليل
وانسابت مشاوير دم صاف على حيفا
وجفرا رقصت في الشمس مشوارا من الفضة والريحان ،
وانداحت على المرج حكايات وأتلاما من القمح
وفي قمته العرس ، وفي حالتها السكرى العصافير
دلال ارتعشت في قلب جفرا لغة تنبض بالنقرة
عالدربكة البحاء ، كالزغرودة السحّاء
لا تمشي الى خاتمة العرس ولكن تبتدي الليلة في حالتها السكرى
وتنساب مشاوير دم في يدها الرخصة كالحناء
يا حيفا على صدرك أصبحت كليم الله
يا خاصرة الآه ، على صدرك أصبحت كليم الله
لم تحزن دلال المغربي بالامس من جرحي الى بوحك
لم أترك لها ارجوحة الضوء لكي تغرق في الوجد
ولكن الطريق ارتعشت تحت خطاها
وطوت بحرا الى حيفا
كما تطوي عجين النهد في أمسية عطشى
وحيفا استعرت في قلبها الغض أساطير
وناداها استعار الوجد
حنّاها هواء السعد
القى طفلة في سردابها المغلق نسر واختفى
وامتد من قلبي الى اصبعها خيط من العصفر
والقنبلة الملساء في راحتها كالخسة العذراء
والرشاش في ساعدها يحلم بالزنبق .
آه ، انطلقت من زيت عينيها رصاصات رماها الطيش
فانداحت على قلبي صبابات وأشواقا
دلال احترقي في راحتي يوما لكي أدرك هذا البعد بين الارض والانثى
لكي أحبو على صدرك كالطفل
هبيني ساعة أتل أناشيدي على مخمل عينيك ، وأرسم لغتي في شفتيك
انعتقت من صمتها
وألقت رأسها المتعب دهرا من ثوان
فوق صدر الذرة الاولى من الشاطىء
وارتدت الى غاصبها تحمل سيفا

* * *

ولليلى أن تقوم الان من غفوتها
أن تحمل الهم الفلسطيني
في الخاصرة الشقراء جرحا
ولها أن تطلق الصرخة ، أن تعتنق الرشاش في رحلتها الاولى من المنفى الى حيفا
وليلى تهب الساعد الحاني
للصب وللعاني
ولا تحمل الا قلبها كالجمرة المشتعلة
في جنون الرقصة المرتجلة

عمان ـ الاردن